الفاصلة القرآنية بين الانسجام البلاغي والسياق التفسيري(دراسة للفاصلة القرآنية في الآيات المتماثلة)

Ahmed ALDYAB[1]

APA: Aldyab, A. (2022). الفاصلة القرآنية بين الانسجام البلاغي والسياق التفسيري(دراسة للفاصلة القرآنية في الآيات المتماثلة). *RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi*, (26), 855-863. DOI: 10.29000/rumelide.1074115.

الملخص

كان للفاصلة حديث كثير في علوم القرآن، فقد بُحثتْ كثيراً من الناحية الفنية والبلاغية والأسلوبيّة، فبعض العلماء قالوا إن الفاصلة تأتي لنواحٍ بلاغية في الآية، فقد أثبتوا أن الفاصلة تزيد من بلاغة الآية كما أنها تزيد في فهم الآية وتفسيرها. وبعضهم قالوا إن الفاصلة تأتي لنواح موسيقيّة، فهي تؤثر على السامع من ناحية الانسجام الموسيقي والتآلف بين فواصل الآيات. وبعضهم رأووا أن الفاصلة القرآنية هي جزء من الآية ولايمكن الحديث عن الفاصلة منفصلاً عن الحديث عن الآية بكاملها، فهي منسجمة مع كل كلمات الآية. ومن جهة أخرى كان الحديث عن المتشابهات اللفظية كثيراً أيضاً، فبعض الأبحاث نظر إلى المتشابهات اللفظية من جهة التشابه فقط، وبعضها رأى أن المتشابه اللفظي إنما هو يزيد فهم الآية نتيجة لاختلاف السياق الذي وردت فيه، وبعض الأبحاث حاولتْ أن تجد اختلافاً في التفسير في الآيات غير المتشابهة تمام التشابه. ويأتي هذا البحث ليربط بين الآيات المتشابهة من جهة والفاصلة القرآنية من جهة أخرى. فهذا البحث لايدرس الفاصلة لوحدها ولا يبحث الآيات المتشابهة منفصلة، وإنما يربط بين مجيء الفاصلة المختلفة في الآيات المتشابهة من خلال السياق والبلاغة العربية. ولاشك أن أهمية هذا البحث تأتي من أنه يربط عدة مواضيع ببعضها أولها التفسير وعلوم العربية بأنواعها كافة وعلم الأسلوب والسياق.

الكلمات المفتاحيّة: اللغة العربية، التفسير، السياق، الفاصلة القرآنية، الآيات المتشابهة.

52-Belâğî uyum ve tefsir bağlamı arasında Kur'ân fâsılası (Benzer ayetlerde Kur'ân fâsılası üzerine bir araştırma)

Öz

Fâsıla, Kur'an ilimleri arasında çokça üzerinde durulan bir konu olup sanat, belagat ve üslup açısından araştırılmıştır. Bir grup alim, fâsılanın ayetin belagatini kuvvetlendirmek için geldiğini söylemekle beraber ayetin anlaşılması noktasında tefsirini de güçlendirdiğini belirtmişlerdir. Bazı âlimler ise fâsılanın makam ve müzikal gerekçelerle geldiğini belirterek dinleyiciyi melodik, ahenk ve ayet sonlarının uyumu yönüyle etki altına aldığını öne sürmüşlerdir. Bazı âlimler de fâsılanın ayetin bir parçası olduğunu , ayetten ayrı düşünülemeyeceğini ve ayetin tüm kelimeleriyle uyumlu olduğunu vurgulamışlardır. Kur'an ilimleri içerisinde yer alan konulardan birisi de "müteşabih ayetler" konusudur. Bazı araştırmalar bu konuyu sadece benzerlik yönüyle ele almıştır. Bazı araştırmalar ise müteşabih ayetlerin bağlamıyla ilgilenerek ayeti anlamada bağlamın önemi üzerinde durmuştur. Bazı araştırmalar da tam benzerlik göstermeyen müteşabih ayetlerin tefsirinde farklılık tespit etmeye çalışmıştır. Bu araştırma, fâsıla konusunu ve müteşabih ayet konusunu tek başına ele almamaktadır. Bağlam ve belagat aracılığıyla" fâsıla- müteşabih ayet " ilişkisini incelemektedir. Bu araştırmanın önemi, konu ele alınırken tefsir, Arapça belagati, üslup ilmi ve bağlam ilimleri çerçevesinde kalmasıdır.

Anahtar kelimeleri: Arapça, Tefsir, Bağlam, Kur'an fâsılası, Müteşabih ayetler

[1] Dr. Öğr. Üyesi, Ankara Yıldırım Beyazıt Üniversitesi, İnsan ve Toplum Bilimleri Fakültesi, Arapça Mütercim Tercümanlık (Ankara, Türkiye), ahmad.adyab@gmail.com, ORCID ID: 0000-0002-9497-9197 [Araştırma makalesi, Makale kayıt tarihi: 08.01.2022-kabul tarihi: 20.02.2022; DOI: 10.29000/rumelide.1074115]

Last words of the Quran verses in terms of rhetorical harmony and tafsir (A study on the last words of similar verses in the Qur'an)

Abstract

End rhyme is a subject which has been discussed mostly among the quranic sciences and it has been searched from the point of view art, rhetoric and genre. Some of the scholars have said that end rhyme's role is to strengthen the rhetoric of quranic verses. At the same time they have claimed that it strengthens the tafseer to be understood the verses. They have also claimed that end rhymes appear to effect the audience with it's rhymes. Because the harmony which has been occured with end rhymes has created aesthetics and beauty. Some scholars have said that the end rhymes are the parts of the quranic verses and emphasized that it is impossible to separate the verses and the end rhymes. Allehorical verses are one of the quranic sciences. Some researches have dealt with this subject from the point of view smile. Some other researches have dealt with allegorical verses in their Context . They have emphasized that the Context is very important to understand the quranic verses. This study deals with not only end rhymes and allegorical verses but also the relationship between end rhymes and allegorical verses through rhetoric. The importance of this study is that the subject has been discussed in the framework of tafseer, arabic rhetoric, genre and Context sciences.

Keywords: Arabic, Tafseer, Context, End rhymes, Allegorical verses

المقدمة

مهما تكلمنا عن أسلوب القرآن المعجز، فإن الكلام عنه لا ينتهي، وإننا لنجد في كل بحث بلاغة من خلفها بلاغة، وكأن البحث في نقطة ما في القرآن يقودنا إلى أبحاث في نفس الأهمية، فالقرآن كلام الله المعجز الذي أعجز العرب في مجاراته والإتيان بمثل آية واحدة في جمال الأسلوب وبلاغة كلماته، فهو تحفة خالدة وباقية ينهج الباحثون من بلاغته وأسلوبه المعجز. وكمثل كل الموضوعات التي بُحِثَتْ في القرآن كان لموضوع الفاصلة القرآنية مكان في هذه الابحاث. وهي تُعدّ من الموضوعات الأساسية في علوم القرآن وتفسيره. وقد رأى بعض العلماء في الفاصلة القرآنية علاقة وثيقة بالآية والسورة وأن أي كلمة لا يمكن أن تسد مكانها.[2] وبعضهم رأى أن الفاصلة موقف لإراحة القارئ وإعطائه طاقة لمتابعة القراءة بنفس أقوى. وبعضهم رأى أن الفاصلة تحقق الإعجاز الصوتي والانسجام الموسيقي مع الفواصل الأخرى. وأقول إن الفاصلة القرآنية تحقق كل الذي ذكره هؤلاء العلماء وإن أبحاثهم متكاملة مع بعضها.

وفي نفس السياق كان للآيات المتشابهة نصيب كبير من الدراسات والأبحاث، فالمتشابه اللفظي يعتبر لوناً من ألوان الإعجاز القرآني لما تشتمل عليه الآيات المتشابهة من أسرار بيانيّة وبلاغيّة. والبحث في هذا الموضوع يُنْتِج لنا دلالات جديدة ويفيد في كشف بعض النقاط الغامضة في التفسير ، فالمتشابه هو ليس من قبيل الترادف الكلمي أو الجملي، وإنما هو متصل بسياق الآية ونسقها البلاغي والبياني والأسلوبي. إذن القرآن يستخدم الآيات المتشابهة لغرض بلاغي ويستخدم الفواصل القرآنية لغرض بياني، وكما هو معروف أن تشابه الآيات كان وفق مستويات، فبعض الآيات المتشابهة جاءت متشابهة بتمامها أي بجميع كلمات الآية بما في ذلك الفاصلة القرآنية، وبعضها جاءت متشابهة في كل شيء إلا في حرف أو حرفين، وبعضها اختلفت في كلمة أو كلمتين. وهذا البحث يتطرق إلى التشابه بين الآيات، لكن باختلاف في الفاصلة القرآنية. وهذا الترابط بين الفواصل المختلفة والآيات المتشابهة دون شك قد أعطى ملامح بيانية في تفسير الآية، ونفى أن تكون الآيات المتشابهة من باب الترادف والتكرار. وقد دُرِستْ الفاصلة القرآنية من بعض الوجوه التي لها علاقة بالتشابه فقط دون التعليل و دون الدخول إلى المباحث اللغوية والبلاغية على ندرة من ذلك، فنحن نجد بعض الدرسات التي تطرقت للفاصلة القرآنية بشيء بسسيط من التحليل والبلاغة، فكثير من هذه الدراسات كانت وصفيّة أو كانتْ تربط الفاصلة بالسياق في علم المناسبة والتناسب أو في علم الإيقاع الموسيقي، فكانت هذه الدراسات تنظر إلى الفاصلة القرآنية من حيث موقعها في الآية ومن حيث وقعها على الأذن وعلى السامع. وأنا لا أريد أن أذكر هذه الأبحاث، لأن كتب علوم القرآن ممتلئة بموضوعات الفاصلة ويستطيع أي قارئ الوصول لمثل هذه الموضوعات.

2، حمدي عزت عبد الحافظ انظر،الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي. ودراسات في علم الفواصل

Adres
RumeliDE Dil ve Edebiyat Araştırmaları Dergisi
Osmanağa Mahallesi, Mürver Çiçeği Sokak, No:14/8
Kadıköy - İSTANBUL / TÜRKİYE 34714
e-posta: editor@rumelide.com
tel: +90 505 7958124, +90 216 773 0 616

Address
RumeliDE Journal of Language and Literature Studies
Osmanağa Mahallesi, Mürver Çiçeği Sokak, No:14/8
Kadıköy - ISTANBUL / TURKEY 34714
e-mail: editor@rumelide.com,
phone: +90 505 7958124, +90 216 773 0 616

حاولتُ في هذه الدراسة أن أتجنب التوصيف قدر الإمكان وأعطيت أهمية للتعليل وذكر الأسباب. وفي الحقيقة هذا الذي ينقص مثل هذه الدراسات برأيي. وحاولتُ اختيار بعض النماذج التي تُفصِح عن مُرادي و البحث عن المتعة البلاغية في تشابه الآيات واختلاف الفواصل.

يقول الله تعالى في سورة إبراهيم

{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)}إبراهيم.

ويقول تعالى في سورة النحل

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (18)} النحل.

نلاحظ أن الآيتين متشابهتان إلى حد الفاصلة التي افترقت واختلفتْ بينهما. لو نظرنا إلى سياق آية إبراهيم نجد أن بعض الآيات تدخل في كفر الإنسان للنعمة والتبديل والشرك ونسب النعمة والفضل لغير صاحبها، فنحن نجد في سورة إبراهيم قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28)}إبراهيم. إذن تبديل النعمة ينسجم مع كفر النعمة. وكذلك نجد في سورة إبراهيم كيف أن الإنسان قد جعل لله نداً وشريكاً {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30)}إبراهيم ، وهذا بحد ذاته من أشد الكفر والظلم، فانسجمت هذه الآية مع وصف الإنسان بالظلم والكفر. (أبو حيان، 427:1993). جاء في سورة إبراهيم وصف الإنسان ومايصدر منه من أعمال كالمكر والشرك والتبديل والظلم، فكانت سورة إبراهيم في وصف المُنعَم عليه، أي الإنسان.

آية سورة النحل خُتِمَتْ ب (إن الله لغفور رحيم). سياق سورة النحل كان في ذكر المنعِم وهو الله تعالى، فالآيات كانت تدور حول النعم وربطها بالمُنْعِم. ولننظر في بعض الآيات التي جاءت في هذا السياق، يقول الله تعالى {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (8) وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (10) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (11) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (12) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (13) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (14) وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (16)} النحل.

إذن هذه الآيات تذكر النعم من وجه التفضيل والامتنان وهذه الحال يناسبها ذكر المغفرة والرحمة، لأنها في الأساس كانت لهذا الهدف في سورة النحل.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى انتهتْ سورة إبراهيم بالوعيد والتهديد {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)}إبراهيم ، وهذا يناسب ظلم الإنسان وكفره النعم، بينما نجد أن سورة النحل انتهت بذكر التقوى والإحسان والصبر، وهذا مما يناسب المغفرة والرحمة {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)}النحل.

والحديث عن هاتين الآيتين مجتمعتين يشكل مفهوم العلاقة بين الإنسان وربه، فالإنسان يصدر منه الظلم لنفسه وللآخرين ويكفر بنعم الله الرحيم، والله عز وجل يقابله بالمغفرة والرحمة.

يقول الله تعالى في سورة الأعراف { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200)}الأعراف.

ويقول تعالى في سورة فصلت { وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)}فصلت.

ويقول تعالى في سورة غافر { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56)}غافر

نلاحظ أن التشابه بين آية الأعراف وآية سورة فصلت تشابه تام بالكلمات والفواصل، بينما اختلفت هاتان الآيتان عن آية سورة غافر. الاستعاذة في آية الأعراف وفصلت جاءت من الشيطان الرجيم، والشيطان لايمكن رؤيته فجاءت الفاصلة بذكر السميع العليم، بينما جاءت الاستعاذة في آية غافر من الذين يجادلون في آيات الله تعالى، أي الإنس بلفظ السميع البصير، والإنسان يمكن رؤيته وإبصاره. إن نزغ الشيطان يكون على شكل وساوس وخطرات ولا يمكن رؤيتها وإنما تُلقَى في القلب ويتعلق بها العلم فقط (الرازي،80:1981)، فكانت الاستعاذة بالله السميع العليم. وكانت الاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يُرَى بالبصر ويدرك بالرؤية.

من النكت البلاغية التي يمكن أن نستشفّها من تكامل فواصل الآيات أنها تجمع السمع والبصر والعلم، وهذه الصفات تحقق كل معاني الإحاطة بالشيء، فالشيطان مهما وسوس ونزغ للإنسان فإنه لايمكن أن يخرج عن علم الله وسمعه وبصره. ومن الملاحظ أيضاً أن نهاية سورة فصلت والتي ترتيبها بعد سورة غافر قد انتهتْ بآية تفيد هذا المعنى، فسورة غافر ارتبطتْ بسورة فصلتْ من حيث الترتيب وكأنهما سورة واحدة وارتبطتْ معها من حيث الجمع بين السميع والبصير والعليم. وهذه الصفات تشكل في مضمونها القدرة والقوة، فالإنسان يستعيذ بالله على الشيطان الرجيم لأنه القدير والعليم (تفسير الماوردي، 2008 :190). يقول الله تعالى في نهاية سورة فصلت {أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (54)}فصلت.

يقول الله تعالى في سورة التوبة { وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)}التوبة.

ويقول تعالى في نفس السورة { ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)}التوبة.

الآية الأولى جاءت عقب الحديث عن الكافرين، يقول الله تعالى {أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14)}التوبة. هؤلاء كفار مكة الذين ناصبوا العداء للرسول الكريم وللمسلمين وحاولوا بكل قوتهم القضاء على الدعوة الإسلامية وكانوا يضيّقون على المسلمين في كل المجالات ليتركوا دين الإسلام، لكن رحمة الله ومغفرته أكبر من إيذاء هؤلاء الكفار، فالله عز وجل يترك باب التوبة مفتوحاً للجميع، لكنه يعلم في نفس الوقت من يتوب بقلبه وعقله ومن يُظاهر بالتوبة لينافق ويخدع المسلمين(رضا، 1947 :175)، ولذلك جاءت الفاصلة (والله عليم حكيم)، فالله عليم بأحوال التائبين من الكفار الذين لم يدخل الإسلام في قلبهم كما ينبغي وكما يجب.

أما الآية الثانية فقد جاءت في سياق تولّي المسلمين وتخلفهم في غزوة حنين بعد أن أُعجبوا بعددهم واغتروا بكثرتهم، فكان التولي منهم نتيجة الإحباط الذي أصابهم وعدم توكلهم على الله القدير(ابن عطية،184:1992). يقول الله تعالى في هذا السياق { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)}التوبة. الله تعالى يعرف ما في قلوب المسلمين من الغيرة على دينهم وأن هذه الكبوة إنما هي عابرة وليستْ نابعة من عدم الإيمان وإنما هي نتيجة عارضة يقع فيها كثير من الناس، فالمهم هنا ماذا يوجد في قلوب هؤلاء المؤمنين(القاسمي،3098:1957)، ولذلك أنزل الله تعالى السكينة على قلوبهم لعلمه أن هؤلاء قلوبهم نظيفة يريدون الخير للإسلام والمسلمين ويريدون نصرة دين الله وإعلاء رايته، فكانت الفاصلة مناسبة لهذا السياق (والله غفور رحيم)، وعلى هذا فقد جاءتْ الفاصلة بهذا الشكل رأفة بقلوبهم وتطييباً لخاطرهم.

يقول الله تعالى في سورة هود {لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)}هود.

ويقول تعالى في سورة النحل {لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)}النحل.

لكي نفهم الفرق بين الفاصلتين، لا بد أن نوضح أولاً الفرق بين هاتين الصيغتين، صيغة اسم التفضيل، وصيغة اسم الفاعل. صيغة اسم التفضيل (الأخسرون) تفيد أنهم وصلوا إلى الدرجة العليا من الخسران وإلى الحد النهائي الذي لايوجد بعده خسران(الآلوسي،34:1415). وسياق الآيات التي قبلها يؤكد لماذا جاءت الصيغة باسم التفضيل، فقد حُشِدَتْ في الآية كل الصفات التي تؤدي بصاحبها ليكون خاسراً في الدنيا والآخرة، فنحن نجد كلمات في سياق سورة هود قبل هذه الآية تؤكد استحقاقهم لهذا المصير من مثل (الظلم، الافتراء على الله، لعنة الله عليهم، الصد عن سبيل الله، الكفر بالآخرة، مضاعفة العذاب، عدم السمع والبصر في الدنيا والآخرة، خسارة النفس).

يقول الله تعالى في سورة هود { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (19) أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (20) أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (21) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (22)} هود.

هؤلاء القوم كانوا يصدون أنفسهم عن طاعة الله ويصدون الآخرين عن الدخول في الإسلام، فهم لم يكتفوا بمنع أنفسهم من الدخول في دين الله وإنما منعوا الآخرين من معرفة الله تعالى والتقرّب إليه، فكان جزاؤهم مضاعفاً وثقيلاً ويستوجب وصفهم بالصيغة العليا للخسارة. يقول صاحب التحرير والتنوير ابن عاشور: " وإنما كانوا أخسرين، أي شديدي الخسارة لأنهم قد اجتمع لهم من أسباب الشقاء والعذاب ما افترق بين الأمم الضالة"(ابن عاشور،38:1984) بين وقد جاء ضمير الفصل "هم" وهو ضمير يفيد القصر، أي أن الخسارة العظمى مقصورة على هذا الجنس من الناس.

فاصلة آية النحل (الخاسرون) جاءت بصيغة اسم الفاعل وهي صيغة خبريّة. السياق قبل آية النحل يبين أن هؤلاء الذين استحقوا الخسارة كان يبدر منهم الكفر لأنفسهم فقط، فهم استغنوا عن الله تعالى فاستغنى الله عنهم، ولم يكن منهم صد الآخرين عن الدخول في دين الله تعالى، فهم أصحاب هوى استحبوا الحياة الدنيا على الآخرى وكانوا غافلين عن الطاعة والعبادة.

وقد جاء السياق يؤكد ذلك، يقول الله تعالى في سورة النحل{ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)}النحل.

يقول الله تعالى في سورة النساء { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)}النساء

ويقول تعالى في نفس السورة { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116)}النساء

الآيتان متشابهتان إلى حد كبير، لكن الفاصلة جاءت متغايرة ومختلفة. السياقان اللذان وردت فيهما الآيتان مختلفان، فالآية الأولى جاءت في سياق الحديث عن اليهود وأفعالهم ومكرهم، حيث يقول الله تعالى في حقهم {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)} النساء. تحريف كلام الله تعالى عن حقيقته هو كذب مُضاعف وافتراء عظيم. وهذا الفعل هو مُبيّت ومخطط له من قبل اليهود.

أما سياق الآية الثانية فقد جاء في حق المشركين، يقول الله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117)}النساء

العلاقة عن بين الافتراء والضلال مرتبطة بأصحابها المعنيين، الإنسان عندما يقوم بالافتراء على الآخرين، إنما يفعل ذلك بناء على قوته التي يظن أنها تعطيه الحق بهذا الفعل، وهذا ماكان من اليهود، حيث ظنوا أنهم يمتلكون القوة ويمتلكون التوارة التي من خلالها يحق لهم رمي الآخرين بالكذب والافتراء، هذا بزعمهم وظنهم. موضوع الافتراء يتعلق بالفكر والعلم من جهة ويتعلق بالخبرة ومعرفة الآخر من جهة أخرى.

ومن هنا كان اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه ليوافق أهواءهم، فهم فعلوا هذا الفعل عن علم ومعرفة مسبقة. اليهود أصحاب كتاب، وهذا الكتاب أُنزل للهداية و الإرشاد، فمن تبعه حقق لنفسه الهداية والاستقامة. واليهود لم يُنكِروا التوارة ولم يدّعوا أنها كتاب غير صحيح أو غير مكتمل، بل كانوا يتمسكون به على أنه الكتاب الأوحد والكتاب الذي يستطيع اليهود من خلاله أن يصلوا ليكونوا أسياد العالم وليكونوا محصّنين ومعفيين من كل الالتزامات والواجبات، من هنا جاء تحريفهم للتوراة لاقتناعهم بأنهم غير مسؤولين عن هذا أمام الله تعالى، ولهذا جاءت الفاصلة القرآنية متناسبة مع فكرهم وفعلهم.

أما بالنسبة لموضوع الضلال فهو يتعلق بالجهل، والجهل كما هو معروف بضاعة يتمسك بها صاحبها على أنها الأصحّ وأنها البضاعة الأفضل. والجهل يرتبط بنوعين من الناس، الأول هو الإنسان الجاهل تماماً الذي إن عرف الحق ورأى فكر الآخرين ربما يغيّر فكره ويتبع الفكر الأصحّ، فهو لا يعرف أن الفكر الآخر أصحّ من فكره، وإنما يتمسك بفكره لجهله بالفكر الآخر، وإن اقتنع بفكر الآخرين ربما يغيّر مايتمسّك به من جهل. وهذا النوع من الناس هو إلى حد كبير يتلاءم ويتكيّف مع الوضع الجديد ومن الفكر الذي تبنّاه من الآخرين وتعلمه.

والنوع الثاني من الإنسان الجاهل هو من يتمسك بفكره على أنه الأصحّ والأفضل وعرف في نفس الوقت أن الفكر الآخر هو أيضاً صحيح، لكنه بسبب عناده وتكبره لا يقبل هذا الفكر ويقوم بمحاربته لسبب من الأسباب. المشركون كانوا من هذا النوع، فهم كانوا يتمسّكون بفكرهم ويعلمون أن القرآن حق والرسول حق، لكن عنادهم وأهواءهم أعمى قلوبهم وبصائرهم عن قبول الحقيقة الواضحة التي شهدوا بها بأنفسهم. المشركون لم يكونوا أصحاب كتاب قبل القرآن وإنما كانوا يعبدون الأصنام على أنها إمّا آلهة أو أنها تقرّبهم إلى الله زلفى.

نَسَبُ القرآن المشركين بالضلال كان عندما عرف هؤلاء المشركون حقيقة القرآن وأنه كلام رب العالمين وأنه يحمل من البلاغة والحكم والهداية ما لا يحتويه كلام آخر. فالإنسان بعد معرفته الحقيقة والصواب إن لم يتبعه ويسير خلفه فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، فهو بسبب عناده وكبره يبتعد عن الحق ويبتعد عن الطريق المستقيم ويبتعد عن طريق الهداية المثلى، ولهذا جاءتْ فاصلة آية المشركين بالضلال البعيد.

يقول الله تعالى في سورة الأنعام { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)} الأنعام.

ويقول تعالى في سورة يونس { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)} يونس.

لو نظرنا إلى السياق الذي وردت فيه آية الأنعام لوجدنا أن هذه الفاصلة مناسبة لهذا السياق الذي وردت فيه وقد حققت القيمة البلاغية في الآية وافترقت عن الآية المشابهة لها في سورة يونس، ففي الآية الخامسة من سورة الأنعام جاء قوله تعالى{ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5)}الأنعام. في هذه الآية حصل منهم التكذيب، وقد ورد في الآية قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته..)، فهي قد انسجمتْ مع السياق من جهة ومن ناحية أخرى ورد قوله تعالى{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)}الأنعام. في هذه الآية حصل منهم الافتراء، وقد تضمنتْ الآية لفظ الافتراء (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً). من جانب آخر نجد السياق تضمن معنى الشرك في عدة آيات منها: قوله تعالى {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14)}الأنعام. وقوله تعالى{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)}الأنعام. إذن السياق النصي لهذه الآية تضمن ثلاثة معان: التكذيب، الافتراء، الشرك. هذه المعاني تُحقق معنى الظلم بكل تجلياته وأحواله(الغرناطي،1993:150). وقد وصف الله تعالى الشرك بالظلم العظيم (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)} لقمان. فهذا حال الشرك، فكيف إذا أُضِيف التكذيب والافتراء إلى الشرك؟ لا شك أنه سيكون ظلم أعظم وأكبر.

بالنسبة لفاصلة آية يونس نلاحظ أنها جاءت أيضاً متناسبة مع السياق والمعنى العام في السورة. الملامح العامة لسورة يونس تتضمن معاني الكفر والإنكار من قبل الكافرين، فمثلاً يقول الله تعالى {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)} يونس. نرى في الآية عدم الإيمان باليوم الآخر وعدم الإيمان بالقرآن.و في موضع آخر نجد من هؤلاء عدم الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام، يقول تعالى { قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (2)}يونس. إذن معاني الكفر متواجدة عند هؤلاء، ومعنى جرم في اللغة القطع، والمجرم هو الذي قطع علاقته بالله فأنكر وجود الآخرة ووجود الله تعالى ووجود الرسل والكتب والملائكة. وبهذا كانتْ الفاصلة متناسبة مع السياق النصي للآية ومع الانسجام البلاغي في الآيات المتشابهة.

يقول الله تعالى في سورة الأنعام { ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (131)} الأنعام.

ويقول تعالى في سورة هود { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (117)} هود.

سياق آية الأنعام الذي وردتْ فيه الآية مناسب لفاصلة (وأهلها غافلون)، حيث جاء قوله تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)}الأنعام. الله عز وجل لايهلك قرية إلا بعد أن يرسل إليها رسولاً ومنذراً. ومعنى الغفلة هنا، لا تلك الغفلة التي يتغافل عنها المرء عند الوعظ، بل المعنى أن لا يبين لهم كيفية الحال، ولا أن يزيل علتهم وعذرتهم. وليس المقصود بالظلم هنا أن الله إذا ماأرسل الرسل وأهلك القرى يكون ظالماً، حاشى لله تعالى، وإنما المعنى : وما كان ربك مهلك القرى بسبب ظلم أقدموا عليه،(الرازي،1981:162) وهذا يتناسب معنى " بظلم " مع معنى " وأهلها غافلون ".

بالنسبة لآية هود نرى السياق أيضاً مناسباً للفاصلة (وأهلها مصلحون)، حيث جاء قوله تعالى { فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (116)} هود. فهؤلاء لو كانوا ينهون عن الفساد في الأرض أو كانوا مصلحين لما أهلكهم الله عز وجل، ولذلك جاءت الفاصلة مناسبة للسياق وللانسجام البياني.

يقول الله تعالى في سورة الأنبياء {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92)}الأنبياء.

ويقول تعالى في سورة المؤمنون {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)}المؤمنون.

سياق آية الأنبياء الذي وردتْ فيه هذه الآية يتضمن ذكر عدد من الأنبياء في حالة اللطف والمنن والفضل، فالسياق لم يذكر هؤلاء الأنبياء في حالة مجادلتهم مع قومهم وحالة التكذيب، وإنما نجد ذكر لهؤلاء الأنبياء في حالة الإنجاء والتخليص من الكرب والشدائد وذكر الفضائل التي أنعمها الله عليهم، فمثلاً نجد قوله تعالى عند الحديث عن إبراهيم ولوط {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (71)}الأنبياء، فهنا ذكر القرآن "ونجيناه" دون ذكر أحوال قومه. وكذلك عند حديثه عن نوح {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (76)}الأنبياء.

وعند الحديث عن داوود سليمان نجد ذكر الفضائل والمنن والإكرام، يقول تعالى {وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (78) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ

لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (80) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (81)} الأنبياء. وكذلك الحديث عن أيوب يُظْهِر القرآن كيف كشف الضر عنه وأنجاه من حالته التي كان عليها {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84)} الأنبياء.

إذن سياق آية الأنبياء {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92)}الانبياء، يُظهِر جانباً من اللطف والمنن والفضائل التي عاشها الرسل، وهذه الحال يقابلها أن تكون العبادة في أرقى صورها وأسمى معانيها، فحال العبد عند تقلبه في العبادة يستوجب أن يعبد خالقه إيعازاً منه بالشكر والامتنان تجاه ربه(الإسكافي،1981:304).

بالنسبة لفاصلة آية المؤمنون {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52)}المؤمنون. نجد أن سياق هذه الآية جاء متناسباً مع الفاصلة. وقد تضمن السياق ذكر بعض الرسل مع أقوامهم في حالة التكذيب والافتراء والمجادلة والإنكار، فمثلاً نجد ذكر سيدنا نوح في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (23) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (24) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (25)} المؤمنون. هذه الآيات تضمنتْ حالة الإنكار والتكذيب من قبل قوم نوح له. وأيضاً الحديث عن قوم آخرين أرسل الله فيهم رسولاً، فنجد وصف لأحوالهم مع رسولهم، يقول الله تعالى {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33)} المؤمنون.

وكذلك نجد في الحديث عن موسى وهارون كيف أن القرآن ذكر حالة الاستكبار والتكذيب من قبل فرعون وقومه {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (45) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (46) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (47) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (48)} المؤمنون. من هنا نجد أن الفاصلة (فاتقون) جاءتْ متناسبة مع مع أحوال التكذيب والافتراء والاستكبار والإنكار وغيرها من الأفعال التي كانت تصدر من أقوام الرسل تجاه رسلهم (الكرماني،1406:130).

يقول الله تعالى في سورة المائدة { وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)} المائدة.

ويقول تعالى في سورة النحل { كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81)} النحل.

جاءت الآيتان متحدتين بالألفاظ، لكنهما اختلفتا في معنى الترجي والطلب. ولكي نعرف ما هو سبب الاختلاف في فاصلة الآيتين، فإننا ننظر أولاً إلى حالة سورة المائدة من حيث نزولها قبل الهجرة أو بعد الهجرة، وسورة المائدة بالإجماع هي سورة مدنية، أي أنها نزلتْ بعد الهجرة، والسورالمدنية كما هو معروف تشرح أحوال المؤمنين بعد إسلامهم، فتشرح العبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها. وهذا واضح من الآية الأولى في سورة المائدة، حيث يطلب الله من الذين دخلوا في الإسلام أن يفوا بالعقود، وبعد ذلك تأتي عندنا آيات الحلال والحرام في الأطعمة إلى أن نصل إلى آيات الوضوء والتيمم، فهذا كله يشير إلى فضل الله على المسلمين وأنه جعلهم طاهرين من الشرك ومن عبادة الأوثان. وهذا كله يناسب أن يشكر المسلم الله على هذه النعم الجليلة، فانتهتْ الآية " لعلكم تشكرون". بالنسبة لآية سورة النحل انتهتْ "لعلكم تسلمون"، وبالنظر إلى سياق سورة النحل فإنه يشرح أحوال الإنسان قبل دخوله الإسلام، أي أنها سورة مكيّة، وهذا واضح من الآية الأولى في هذه السورة " أتى أمر الله فلاتستعجلوه" فهذا خطاب لكل من يكذب ويشك بيوم الآخرة، والمؤمن لا يشك بيوم القيامة ولا بيوم الآخرة، إذن هذه الآية تخاطب المشركين والذين يشكّون بدين الإسلام، أي غير المؤمنين، ولذلك ناسب أن تنتهي الآية "لعلكم تسلمون"، فالآية تحمل معنى الترجى والطلب من هؤلاء المشركين أن يدخلوا في دين الإسلام، فهؤلاء هم غير مسلمين أصلاً ولذلك جاءتْ الفاصلة مناسبة لحالهم.

الخاتمة

بعد البحث والدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:

موضوع الفاصلة القرآنية من الموضوعات التي ترتبط بمواضيع عديدة ومختلفة، فهي تتعلق بالسياق النصي والبلاغة العربية وهي ترتبط بأسباب النزول، فبعض الفواصل القرآنية يمكن تحديد معناها وعلاقتها بالآية من خلال أسباب النزول.

اهتم العلماء بالجانب الجمالي للفاصلة على تفاوت فيما بينهم، ولم يفرد كثير من هؤلاء العلماء للفاصلة كتباً خاصة بها من حيث البحث الجمالي، وإنما كان عملهم يقتصر على التوصيف مع ذكر بعض النواحي الجمالية التي لم تكتمل في سياق واحد أو في بحث مستقل بذاته. ومن هؤلاء العلماء الذين تطرقوا لجمع وتنسيق جهود العلماء السابقين للفاصلة أحمد أحمد بدوي وكامل السسيد شاهين وغيرهم. وأما العلماء الذين بحثوا الفاصلة من حيث الترجيح والموازنة فكان منهم : مصطفى صادق الرافعي وعلي الجندي وغيرهم. ولاننسى سيد قطب في إشاراته لنواح الفاصلة التصويريّة وذكر إيقاعها في علم التناسب والمناسبة في الآية.

كانت جهود بعض العلماء تنصب على نفي السجع عن القرآن من خلال إيجاد تعليلات مناسبة للفاصلة وأن القرآن لا يشبه الشعر بأي حال من الأحوال، فكانتْ تنطلق نظرة هؤلاء العلماء من أن الفاصلة تدخل في بلاغة الآية ولايمكن فصلها عن الآية والسياق. ومن هذه الكتب كتب إعجاز القرآن وخاصة الإعجاز البياني.

كما رأينا كان القرآن يستخدم الفاصلة بما يتناسب مع الآية والسياق، ليس هذا فحسب، وإنما كان يوفق بين الإيقاع الموسيقي للفاصلة وبين المعنى، فكانت الفاصلة تحقق البلاغة اللغوية والانسجام السياقي والتناسب اللفظي.

لا بد للقارئ أو الحافظ أن يمتلك معرفته للسياق وأسباب النزول لكيلا يُخطئ أثناء القراءة وتتشابه عليه الآيات المتماثلة باللفظ.

للفاصلة القرآنية وظائف عديدة في الآية، فهي لم تأت لمجرد الشكل والتناسب الموسيقي، بل هي تقوم بوظيفة نصيّة تخدم المعنى التفسيري ووظيفة جمالية تؤثر على السامع والقارئ. تتجلى جمالية الفاصلة في كثير من الآيات في أنها تجمع معاني الآية فيها، ولهذا نجد أن ابن جني يقول عن هذا الموضوع "ألا ترى أن العناية في الشعر إنما هي بالقوافي، لأنها المقاطع، وفي السجع كمثل ذلك، نعم وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهم، وكذلك كلما تطرق الحرف في القافية ازداد عناية به" (ابن جني، 85:1952). فهذا في الشعر والنثر، فكيف بالقرآن الذي يمتلك بلاغة ما بعدها بلاغة.

من النتائج المهمة التي توصل إليها الباحث أن موضوع التشابه اللفظي في القرآن لم يُعتَنى به بالشكل الكافي، فنحن نجد بعض الكتب التي جمعتْ المتشابهات في القرآن، وبعض هذه الكتب قام بتحليل هذه المتشابهات وبعضها تركها للقارئ والباحث.

المتشابهات اللفظية لها دور كبير فهم أسلوب القرآن وبلاغته. وهذه المتشابهات جاءت في موضوعات مختلفة من القرآن، فهي موجودة في القصص القرآني وفي بعض آيات الأحكام، ولهذا فهي يمكن أن تجيب عن أسئلة كثيرة في فهم هذه الموضوعات والتوصل إلى فهم جديد ونكات بلاغيّة مهمة.

كما لاحظنا في هذه الدراسة أنه لا يمكن فهم جزئيّة من القرآن إلا من خلال فهم الجزئيّة الأخرى، فالفاصلة القرآنية بُجِنَّتْ في دراسات كثيرة، والذين درسوها ربطوها بموضوعات مختلفة، وكذلك المتشابهات اللفظية نجد لها ارتباطات كثيرة بموضوعات متعددة، و نحن نستطيع من خلال بلاغة القرآن أن نجد صلة بين عدة موضوعات كانتْ قد بُجِنَّتْ في القديم منفصلة عن بعضها.

المصادر والمراجع

ابن جرير الطبري، 1991، تفسير الطبري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أبو الحسن الماوردي ،2008،(النكت والعيون)، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان

أبو الفتح عثمان بن جني،1952، الخصائص، دار الكتب المصرية.

أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم ابن الزبير الغرناطي،1993، ملاك التأويل، دار الكتب العالمية، بيروت.

الخطيب الإسكافي، 1981، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة في كتاب الله العزيز، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

الزمخشري، 1407، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت.

شهاب الدين محمود عبد الله الحسيني الآلوسي، 1415، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، 1992، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت.

فخر الدين الرازي، 1981،مفاتيح الغيب، دار الفكر، دمشق.

القاسمي محمد جمال الدين، 1957، محاسن التأويل، دار البابي الحلبي.

محمد الطاهر بن عاشور، 1984، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر،تونس.

محمد بن يوسف بن حبان، 1993، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت.

محمد رشيد رضا، 1947، تفسير المنار، مطبعة المنار، مصر.

محمود بن حمزة الكرماني، 1406، البرهان في توجيه متشابه القرآن، دار الكتب العلمية،بيروت.

Bibliyografya

Mahmud al-Karamani (1406). *Al-Burhan fi Mutashabah al-Qur'an*, Beyrut.

Âlûsî, Ebu'l Fadl Şihâbuddîn Mahmûd (2001). *Rûhu'l-me'ânî fi tefsîri'l-Kur'âni'l-'Azîm*, Beyrut.

Cemâleddin el-Kāsımî (1957). *Meḥâsinü't-te vîl*, Beyrut.

Ebû Hayyân Endelûsî & Muhammed b. Yusuf b. Ali (1993). *Bahru'l-muhît*. Beyrut : Dâru'l-Kütübi'l-'İlmiyye.

Ebû Muhammed Abdülhak b. Gālib b. Abdirrahmân b. Gālib el-Muhâribî el-Gırnâtî el-Endelüsî (1992). *el-Muḥarrerü'l-vecîz*, Beyrut.

İbn Âşûr, Muhammed Tahir (1984). *et-Tahrir ve't-Tenvir*, Tunus.

İbn Cinnî (1952). *el-Ḫaṣâ iṣ*, Kahire.

İbn Kesîr, İsmail b. Amr Ed-Dımaşkî (1994). *Tefsîru'l-Kur'âni'l-Azîm*. Riyâd : Daru Selam.

Kurtubî, Muhammed b. Ahmed (1966). *el-Câmi'u li ahkâmi'l-Kur'ân*, Mısır.

Râzî, Fahruddîn Muhammed (1981). *Mefâtihu'l-ğayb (et-Tefsîru'l-kebîr)*. Beyrut : Dâru'l-Fikr.

Reşîd Rızâ (1947). *Tefsîrü'l-Ḳur âni'l-ḥakîm (Tefsîrü'l-Menâr)*. Mısır.

Taberî, Ebu Cafer İbn Cerir Muhammed b. Cerir b. Yezid (1984). *Camiu'l-Beyan An Te'vili Âyi'l-Kur'an*. Beyrut.

Zemahşerî, Ebu'l-Kâsım Carullah Mahmûd b. Ömer (1997). *El-Keşşâf 'An Hakâiki Ğavâmidi't-Tenzîl Ve 'Uyûni'l-Ekâvîl Fî Vucûhi't-Te'vîl, Daru'l-İhya*. Beyrut.